تفريغ الفصل [٣] من سلسلة الحاكمية

بعنوان:

منزلة الحكم بما أنزل اللَّه من الدين

للشيخ

أبي عبد اللَّه المهاجر

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦هـ - ٢٠١٤ م

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:

تفريغ الفصل الثالث من السلسلة الصوتية" الحاكمية":

بعنوان:

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من مفهوم الدين

للشيخ:

أبي عبد الله المهاجر

–حفظه الله–

تم نشر هذا التفريغ في:

ربيع الآخر 1436 – فبراير 2015

مقدمة التفريغ:-

فيسرنا في مؤسسة التحايا للإعلام، أن نقدم لكم هذا التفريغ، لسلسلة الحاكمية للشيخ أبي عبد الله المهاجر، المصري عبد الرحمن العلي؛ والشيخ غني عن التعريف، هو من علماء الثغور، ومن كبار علماء التيار الجهادي، جاهد في الجهاد الأفغاني الأول؛ ثم بعد الفتنة بين الأحزاب الأفغانية، توجّه نحو باكستان لطلب العلم؛ فدرس فى الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، وحصل على الماجستير فى الشريعة؛ ولكنه لم يتمكن من إكمال الدكتوراه، بسبب مطاردة السلطات الباكستانية له، فتوجّه نحو أفغانستان.

وهناك افتتح معهد شرعي، في خوست في معسكر خلدن؛ الذي كان يقوده ابن الشيخ الليبي، وأصبح المسؤول الشرعي للمعسكر؛ ثم درّس في المعهد الشرعي، الذي افتتحه الشيخ الإمام أسامة بن لادن –تقبله الله- في قندهار؛ والذي كان يديره الشيخ أبو حفص الموريتاني، واستفاد منه الشيخ الزرقاوي علميًا؛ وكذلك استقدمه في تنظيم دورات علمية، في معسكره في هيرات.

يقول الشيخ الشهيد أبي مصعب الزرقاوي – تقبله الله –: "التقيت بالشيخ أبي عبد الله المهاجر، وجرى حديثٌ بيننا في حكم العمليات الاستشهادية، وكان الشيخ يذهب إلى جوازها، وقرأت له بحثًا نفيسًا في هذه المسألة، وسمعت له أشرطة مسجلة في ذلك، فشرح الله صدري لما ذهب إليه، ولم أتبنَّ جوازها فقط؛ بل بتُّ أرى استحبابها، وهذا والله من بركة العلم ولقاء أهله".

ويقول الشيخ محمد وائل حلواني "ميسرة الغريب"، عضو اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين آنذاك، في رسالته «الزرقاوي كما عرفته»: "كان شيخنا الزرقاوي يُحب شيخه أبا عبدالله المهاجر، ويُجِلُّه ويثني عليه، ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق؛ وكانت قرائنُ الحال تَدُلُّ أنه لو أتى، لأوكلت إليه مسؤولية الهيئة الشرعية، وذكر لي أنه درس عند الشيخ المهاجر أربع سنوات".

بعد أحداث سبتمبر 2001م، دخل الشيخ إيران مع من دخل، حيث قدّر الله أن تعتقلته السلطان الإيرانية؛ والشيخ هو صاحب كتاب "مسائل من فقه الجهاد"، وكتاب "أعلام السنة المنشورة، في صفات الطائفة

المنصورة"، وهما سفران ضخمان؛ ورغم مكانة الشيخ العلمية الكبيرة، إلّا إنه ليس كثير المؤلفات، ولكن كان له نشاط في التدريس، وتنظيم الدورات العلمية؛ وهو ما يجعل لتفريغ دروس الشيخ، وسلاسله العلمية أهمية كبيرة.

ونظرًا لضخامة هذه السلسلة "الحاكمية"، التي تتكون من 43 ملف (الملف رقم 23 مفقود من المصدر)، أي أكثر من 40 ساعة؛ فقد رأينا أن نقوم بنشر تفريغها، مقسمًا على شكل فصول، ثم نقوم بجمعها لاحقًا في مجلدٍ واحد؛ مع العلم أننا نعطي حقوق النشر، والاستفادة من هذا التفريغ، لأي مسلم أو مؤسسة إعلامية؛ تلتزم بإكمال تفريغ السلسة، والاعتناء بها ونشرها في مجلد واحد، وذلك بعد أن تراجعنا، حتى نعلمه/ا بما تم تفريغه.

كما أننا نفتح الباب، أمام أي مؤسسة إعلامية، تريد المشاركة والتعاون معنا في هذا التفريغ. وقد قام الشيخ بتقسيم السلسلة، كما بيّن في مقدمته، إلى 4 مفردات، كما هو مبين أدناه؛ ولعلنا نقوم بتقسيم هذه المفردات، إلى فصول أصغر حسب ما يتيسر.

1-نبذة عن تاريخ الحكم بغير ما أنزل الله

2-منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الدين

منزلة الحكم بما أنزل الله في توحيد الربوبية

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الألوهية،

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الأسماء الصفات.

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الإيمان

3-نتكلم عن مناطات الكفر في الحكم بغير ما أنزل الله:-

المناط الأول هو عملية التشريع

المناط الثاني تطبيق هذا التشريع في واقع الناس

المناط الثالث هو عدم الحكم بما أنزل الله

-تأويل قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرين)

سبب النزول

صفة فعل أهل الكتاب والتطابق التام بين تلك الصورة التي أنزلت من أجلها هذه الآيات وبين واقعنا المعاصر

الكفر المذكور في الآية هل هو الكفر الأكبر أم الكفر الأصغر

أثر ابن عباس (كفر دون كفر).

4- إجماع العلماء القدامى والمعاصرين من شرّع ولو تشريعًا واحدًا مخالف لشرع الله.

وهذا الجزء هو الفصل الثالث من سلسلة الحاكميّة بعنوان [منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الدين]، بعد أن نشرنا من قبل الفصل الأول [نبذة تاريخية عن الحكم بغير ما أنزل الله في البشرية عامة وفي المسلمين خاصّة]، والفصل الثاني [حتمية المواجهة؛ جولة سريعة ونظرة إجمالية لشريعة الرحمن ولشريعة الشيطان] وكذلك حلقة بعنوان [جنِّي شِيعِي في مُعسْكر الجِهَاد].

ويبدأ تفريغ هذه الحلقة من الملف السادس الدقيقة 9:50 حتى الملف السابع الدقيقة 21:05.

سياسة التفريغ:-

لم نلتزم في هذا العمل التفريغ الحرفي، لأنه يجعل المادة المكتوبة صعبة الفهم؛ فقمنا بتعديلات بسيطة، كتقديم وتأخير، أو حذف كلمة، أو إعادة صياغة جملة؛ دون أن نعطي لأنفسنا الحق في زيادة معنى لم يقله الشيخ أو حذف معنى قاله الشيخ؛ فالغرض جعل الكلام بأسلوب الكتابة، بأوضح ما يكون دون تكلف.

وأغلب هذه التعديلات تكون عندما ينقل الشيخ كلامًا؛ فهو يقف عند كل جملة أو كل كلمة، ليشرح ويستطرد حتى يختلط أحيانًا كلامه بالكلام المنقول؛ فقمنا بجمع الكلام المنقول مفصولًا، وجعلناه بين قوسين "..." ثم أدرجنا شرح الشيخ بعده، والتزمنا في الغالب بوضع علامة (...) لدلالة على الحذف أو الكلام غير الواضح، وبالتظليل باللون الرصاصي للدلالة على الزيادة؛ وحذفنا بعض الشرح الذي لا يصلح في أسلوب الكتابة.

وكذلك قمنا بدمج الدروس المتعلقة بموضوع واحد، مثلًا الفصل الأول (نبذة تاريخية عن موضوع الحكم بغير ما أنزل الله) تمت في جلستين، فقمنا بحذف مقدمة الجلسة الثانية وجعلها كملخص في نهاية الفصل.

منزلة الحكم بما أنزل الله من الدين:-

ن الحمد لله نحمده ونستغره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[1].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[2].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[3].

ثم أما بعد:-

ملخص لما مضى:-

ما زلنا مع موضوع الحاكمية، وتكلمنا في بداية الحديث، عن تاريخ الحكم بغير ما أنزل الله، في البشرية عامّة وفي المسلمين خاصّة؛ ثم تكلمنا عن نظرة إجمالية، لشريعة الرحمن ولشريعة الشيطان، وليس الهدف منها المقارنة – حاشا لله وكلا –، وإنما الهدف منها تقرير الأمر الواقع؛ أن تلك القوانين الطاغوتيّة شرٌ محض، وأنها ما شُرعت إلا لتُفسد العِبَاد والبلاد؛ وتكلمنا عن وسائل الأحكام الشرعية لجملة مصالح العباد، وقرّرنا أن الشريعة الإسلاميّة جاءت بخير الدنيا والآخرة؛ وكذلك استعرضنا بصورة سريعة الضرورات الخمس، في ظل أحكام الشريعة الإسلامية؛ ثم نظرنا في شريعة الشيطان، واستعرضنا سريعًا صفاتها في كتاب الله، الذي ينطق بالحق (لا يأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[4] ورأينا أن تلك الصفات تبدأ من الكفر، وتنتهي بأنها شريعة العداوة والبغضاء، وهذا أمر ملحوظ تمامًا في مجتمعاتنا؛ ثم تكلمنا على الضرورات الخمس، في ظل التشريعات الوضعية، ورأينا كيف أن تلك الضرورات ليس لها أدنى اعتبار، في ظِل القوانين الوضعيّة؛ وإنّما كان الهدف هو تمامًا، عكس ما جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيقه.

[1] سورة آل عمران، الآية: 102.
[2] سورة النساء، الآية: 1.
[3] سورة الأحزاب، الآيات: 70-71.
[4] سورة فصلت، الآية: 42.

منزلة الحكم بما أنزل الله في معنى الدين:-

واليوم – إن شاء الله – نتكلم عن منزلة الحكم بما أنزل الله، أو منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الدين؛ فنقول بدايةً، إن مسائل التَشْرِيع والأَحْكام، والحُكْم والتَحَاكُم، ليست من الأمور الساهلات، وليست من مسائل الخلاف، وليست من مسائل الاجتهاد المعتبر؛ وإنما هي من صلب هذا الدين، ومن صلب التوحيد والإيمان، بل الترجمة العملية للدين بجمله الثلاث؛ الإسلام والإيمان والإحسان، هي موضوع الحاكمية، ونقصد هنا بالحاكمية المفهوم الصحيح لها: وهي أن يكون الحكم لله ورسوله؛ في الاعتقاد وفي العبادات، وفي المعاملات بأنواعها، سواء الاقتصادية أوالاجتماعية أو السياسية، وسائر مناحي الحياة البشرية؛ فالحكم لله ورسوله أولًا وآخرًا، فالترجمة العملية للدين، والترجمة العمليّة للتوحيد، والترجمة العمليّة للإيمان هي موضوع الحاكمية؛ أن يكون الحكم لله ورسوله (..).

وسيأتي معنا أن سلف هذه الأمة، لم يكن يدور في خلدهم قط، أن يأتي يوم على المسلمين، وتنحّى فيه الشريعة الإسلامية، أو يُشرّع فيه من دون الله، ولو في قضية مفردة؛ وسنأتي لهذا الأمر، عندما نتحدث عن أثر ابن عباس.

إذًا مسألة الحاكمية هي من أصل الإيمان، ونعني بأصل الإيمان: ذلك المعنى الذي تكلمنا فيه، عندما تكلمنا في موضوع (حقيقة الإيمان عن أهل السنة والجماعة)؛ أي هو الجزء من الإيمان، الذي لا يُحَقِّق للعبد، القدر المنِجي من الخلود في نار جهنم إلا به؛ فهذا الجزء يَستلزِم ويحتوي، ويتضمّن موضوع الحاكميّة، أن يكون الحكم لله وحده، لا لغيره من الأنداد والشركاء والآلهة.

وكذلك إذا أردنا، أن نُفصّل في هذا الأمر، شيئًا من التفصيل نقول؛ إن الله – سبحانه وتعالى – خلق هذا الكون، وسخّره بما فيه، من الأنهار والجبال، والسماء الأرض، والشمس والقمر؛ كُل هذه الموجودات، سخّرها الله – سبحانه وتعالى –، ووضعها ومهّدها لخدمة الإنسان؛ ثم فرّغ الله – سبحانه وتعالى – الإنسان، لهدف وغاية سامية، هي عبادة الله – سبحانه وتعالى – وحده؛ فهذا الكون مُسخّر للإنسان، لأداء الوظيفة التي خلقه الله لأجلها، وهي وظيفة العبودية.

يُصرّح بذلك المولى – سبحانه وتعالى –، بهذا الأمر فيقول: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[5] فالجن والإنس، ما خلقوا إلا لأجل غاية واضحة محدّدة؛ فالحيدة عن تلك الغاية، في صور من صورها، خروج عما أراده الله، لهذا الإنسان ألا وهو العبادة.

وهذه العبادة هي في التحقيق، من أجل نجاة الإنسان؛ فالله – سبحانه وتعالى – لا يتحصّل له أمر ينفعه، فهو سبحانه عليٌّ، عن أن يتحصل له نفع من البشر؛ كما قال تعالى: (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)[6] بل المولى – سبحانه وتعالى –، غنيٌّ عن عبادتك، وعن عبادة الناس أجمعين، فالله غنيٌّ عن العالمين؛ (وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ).[7]

فتلك العبادة، التي تأتي بها أيها العبد، لا تنفع بها أحدًا إلا نفسك، والإعراض عنها، لا يضر أحدًا إلّا نفسك، فالأمر لك أولًا وآخرًا؛ والله – سبحانه وتعالى – لو عذب العباد، أولهم وءاخرهم، ما عذبهم وهو ظا لم لهم؛ ولو رحمهم لكانت رحمته – سبحانه وتعالى – خير مما قدّمُوا؛ بل نعمة واحدة، من تلك النعم التي لا تُحصَى، لا تساوي ما تأتي به من عبادة، ولو بلغت مئات السنوات.

إذًا الغاية محدَّدّة، والهدف مُحدّد، والوسيلة مُحدّدة، وهذا هو محل الصراع؛ فهناك أقوامٌ أقرّوا بالعبودية، ولكنهم ابتدعوا وسائل من عند أنفسهم، زعموا أنها تقربهم إلى الله – سبحانه وتعالى –، بلسان الحال أو بلسان المقال؛ وأقوام حرّفوا معنى العبادة، وجعلوها تقتصر على صنف أو نوع منها.

والله – سبحانه وتعالى – عندما حدّد هذا الهدف، من خلق الإنسان، جعله – أي الأمر بعبادته وحده سبحانه وتعالى – دعوة الأنبياء والمرسلين كافّة، ينقلها الآخر عن الأول؛ فكل رسل الله – عليهم صلوات الله وسلامه –، إنّما بعثوا من أجل تحقيق هذه الغاية، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[8]، فالعبادة هي التي بعث من أجلها الرسل كافة.

---

[5] سورة الذاريات، الآية: 56.

[6] سورة الذاريات، الآية: 57.

[7] سورة إبراهيم، الآية: 8.

[8] سورة النحل، الآية: 36.

وكما قلنا هذه العبادة (...)؛ إذا اختلفت الكيفية، وتغيرت الوسيلة، ونقصت الأركان، خرجت العبادة عما أمر به الله تعالى؛ إذًا الأمر لا يتوقف، عند الإقرار بالعبودية لله؛ لأننا وجدنا أقوامًا، على مدار التاريخ البشري، أقرَوا بتلك الحقيقة؛ فعبدوا الله – سبحانه وتعالى –، ولكنهم لم يقروا بالأمر الثاني، فأتو بما فيه الإثبات، وتركوا ما فيه النفي، فأشركوا مع الله – سبحانه وتعالى – آلهةً أخرى؛ فرغم أنهم ما أنكروا وجود الله، ولم يجحدوا عبوديته، ولكنهم زعموا، أن لتلك العبودية صور جمّى؛ وهذه الصور تختلف، على مدار التاريخ البشري، فصُوَر الشرك متعدّدة، قد تكون حجارة، وقد تكون كواكب، وقد تكون أنهار (...).

وسيأتي معنا نص مهم جدًا، للشيخ سعيد بن علي القحطاني، في تعدد صور الوثنية؛ وأن وثنية العصر الحاضر، وثنية القوانين الوضعية والطواغيت، الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، إذًا كما قال سبحانه وتعالى: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)؛ وسيأتي معنا حديث طويل مفصل، في معنى الطاغوت، وفي ما نقل عن السلف في تفسيره، وفي صور الكفر به؛ وهذا – إن شاء الله – نتكلم عنه، في مبحث (الموالاة والمعاداة)، إلا أننا نختصر من هذا المبحث الطويل، فيما يتعلق بموضوع، الحكم بغير ما أنزل الله.

نقول قيل في حد الطاغوت الشيء الكثير، وإن كان كله من باب اختلاف اللفظ، وكلها ترجع إلى معنى واحد؛ ومن أجمل وأكمل وأحد ما قيل، في حد الطاغوت، هو تعريف شيخ الإسلام ابن القيم؛ يقول – رحمه الله – كما في إعلام الموقعين، في المجلد الأول ص 40: " والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاعٍ؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله". أهـ

فأول ما بدأ ابن القيم، في ذكر أنواع الطواغيت، ذكر طاغوت الحاكميّة، والتحاكم إلى غير ما أنزل الله؛ ثم ذكر باقي الأنواع الثلاث، وكل هذه الصور الثلاث، ترجع لمسألة التحاكم لغير ما أنزل الله؛ فالتحاكم لغير ما أنزل الله، اتباع على غير بصيرة، والتحاكم لغير ما أنزل الله، طاعة غير الله، فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ وهذا الكلام يعني، أن الأمر الذي يطيعونه، يحتمل أن يكون طاعة لله، ويحتمل أن يكون معصية، فالاحتمال قائم؛ فما بالك فيمن يتّبع ويُطيع، فيما يَعلم يقينًا أنه معصية لله – سبحانه وتعالى –؛ فيَتَيقّن أن هذا التشريع، مخالف لما أنزل الله، ورغم ذلك يتّبِعُه ويُطيعه، بل

يُسارع في اتباعه؛ وفوق ذلك من يدعوا الناس لهذا الاتباع، وفوقه ذلك من يُجبر الناس، على هذا الاتباع وهذه الطاعة؛ وفوق ذلك درجة، من يُشرِّع بنفسه، ويصيغ تلك القوانين، المخالفة لما أنزل الله – سبحانه وتعالى –.

يقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، في كتابه (تطهير الجنان والأركان، عن أدران الشرك والكفران)، بعد أن ذكر حد ابن القيم، في تعريفه للطاغوت؛ قال – رحمه الله – في ص 19: "فإذا تأملت هذا التعريف، عرفت أن حكم القانون هو الطاغوت، وأن الحاكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بتشريع وضعي، لا يستند إلى القرآن والسنة، ولا إلى إجماع هذه الأمة".

وسيأتي معنا كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في صور الطواغيت، وأن رؤوس الطواغيت خمسة، وذكر منهم الحاكم بغير ما أنزل الله [9]، نفس الكلام ذكره ابن باز، وللشيخ سليمان بن سحمان، كلام ذكر فيه، أن للطاغوت ثلاث أنواع: طاغوت الحكم، ثم طاغوت عبادة، ثم طاغوت اتباع؛ فبدأ بطاغوت الحكم، والتحاكم بغير ما أنزل الله [10].

وهذا الكلام، جاءت آية في القرآن الكريم مصرّحة به؛ أن الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت، وأن الحكم بغير ما أنزل الله حُكمٌ بالطاغوت، وأن التحاكم إلى غير ما أنزل الله تحاكم للطاغوت. هذا المعنى جاءت آية في كتاب الله مصرّحة به، وهو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)[11]، فنصت الآية على هذا اللفظ، وجعلته لفظًا ووصفًا عامًا، في كل من حكم بغير ما أنزل الله، وعلى كل من يتحاكم لغير ما أنزل الله؛ فالطاغوت هو الذي يحكم، بخلاف شَرْع الله وشَرْع رسوله، فسمّى الله – سبحانه وتعالى –، الحُكم بغير شريعته، حُكمًا بالطاغوت، وسمى الحَاكِم بغير شريعته طاغوت؛ وهناك نكتة طريفة، ذكرها الشيخ سفر فقال: "القانون والطاغوت يتشابهون وزنًا ومعنى، فالقانون هو الطاغوت، والطاغوت هو القانون".

إذًا وصلنا في المحصِّلة، أن عبادة الله – سبحانه وتعالى – لها شقان؛ شقٌ يتمثل بالإثبات، وشقٌ يتمثل بالنفي؛ وسيأتي هذا الكلام، عندما نتحدث عن منزلة الحكم، بغير ما أنزل الله في التوحيد، فكله يخرج من مشكاة واحدة؛ شق الإثبات

---

[9] الدرر السنية (**136/1**).

[10] الدرر السنية: (**503/10**).

[11] سورة النساء، الآية: **60**.

يتمثل في تحقيق العبودية لله – سبحانه وتعالى –، إلّا أنّ الأمر لا يتوقف عند هذا الحد؛ فحتى تكون تلك العبودية، عبوديّةً صحيحة كاملةً متكاملة، لابد أن يتبعها العبد بشق النفي، الذي هو الكفر بالطاغوت؛ وانظر لهذه الآية، التي ذكرنها: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[12]، والإجتناب هو البعد والإبتعاد، فنهت الآية عن مجرد الإقتراب، فهو أبلغ من الأمر بالترك كما قال تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)[13]، فنهى عن مجرد الاقتراب من الطاغوت؛ فما بالك بمن يقترب؟ وما بالك بمن يَختلط؟ وما بالك بمن يَدخل؟ وما بالك بمن يُشارك؟ فما بالك بمن يصبح، جزءًا من هذا الطاغوت؟

فنهانا الله عن مجرد الاقتراب، فقال: (وَاجْتَنِبُوا)، فهو لفظ غاية في النهي، عن المعاشرة والمخالطة، أو حتى الاقتراب من هذا الطاغوت؛ أما اليوم، فالأمر صار على العكس تمامًا، الاختلاط بلغ درجته، والمعاشرة والمخالطة أصبحت شيئًا معروفًا؛ بل أن يصير الإنسان جزءًا من هذا الطاغوت، صار أمر واقع لكثير من الناس.

إذًا نقول: عبادة الله العبادة الحقّة، تتضمن أمرين؛ تتضمن تحقيق العبادة لله – سبحانه وتعالى –، وتتضمّن الاجتناب والكفر، بكافة تلك الطواغيت، التي عُبدت على مدار التاريخ الإنساني، وأعظمها وأشدّها محادّةً لله ورسوله؛ طواغيت القوانين الوضعية، التي تُحْكَم بها بلاد الإسلام والمسلمين اليوم.

فهذان الأمران – الإثبات والنفي – يتكون منهما دين الله الحق؛ فمن عبادة الله وحده، والكفر بالطاغوت، يتكون دين الله الحق، الذي لا يقبل الله دينً سواه، ولا تتحقّق النجاة إلّا به؛ كما قال تعالى: (ومن وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[14]، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[15]، فالإسلام هو عبادة الله والكفر بالطاغوت، ولابد من اجتماع الأمرين.

وكما أسلفنا، هذه دعوة الله، التي أرسلها على لسان الرسل كافّة؛ وهذا هو دين الإسلام، من لدن آدم إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –، فهذا هو دين الإسلام، وليس لله دين آخر؛ ليس لله دين ارتضاه لعبادة ولخلقه، منذ خلق آدم إلى أن

---

[12] سورة النحل، الآية: 36.

[13] سورة الإسراء، الآية: 32.

[14] سورة آل عمران، الآية: 85.

[15] سورة آل عمران، الآية: 19.

تقوم الساعة، ويرث الله الآرض ومن عليها؛ ليس له دين إلا هذا الدين، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[16]، وهو ملة إبراهيم، التي من رغب عنها فقد سَفِه نفسه، ملة إبراهيم تَحْقِيق العبادة لله، وتَحقيق الكفر بالطواغيت كافة.

فهذا هو دين الأنبياء جميعًا، وقد صدح بهذا النبي – عليه الصلاة والسلام –، في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري، حيث قال – صلى الله عليه وسلم –: (**الأنبياء إخوة لِعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**)[17]. فالشرائع تختلف ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[18]، أما أصل الدين والعقيدة فواحد، كل رسول من تلك الرسل، من عرفنا منه ومن لم نعرف، لم يأتِ إلا بأمرين؛ تحقيق العبادة لله – سبحانه وتعالى –، والكفر بالطواغيت، وهذا هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وكل دين سوى هذا الدين، فباطلُ في الدنيا وفي الآخرة.

إذًا كل من اتبع تشريعًا غير شرع الله، فقد اتبع دينًا غير دين الله؛ وكل من وضع تشريعًا غير شرع الله، فقد وضع دينًا غير دين الله، وارتضاه للناس ودعا الناس إليه؛ فما بالك إذا انضاف لتلك الدعوة المجرّدة، الدعوة بالقوّة والقهر والجبر.

تحقيق معنى الدين:–

ونفصل في معنى الدين؛ فنقول أن لفظ الدين، يَشْمل كل دين، حقًا كان أو باطلًا، بمعنى أن كل من ارتضى لنفسه، شريعةً وطريقةً وهديًا وناموسًا يَخْضَع له، فقد اتخذ لنفسه دينًا؛ ونأخذ هذا من كتاب ربنا، من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[19] إلى أن قال في آخر السورة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[20]؛ فسمى الله – سبحانه وتعالى – بصريح الآية، دين الكفار دينًا، رغم ما عليه من بطلان واضح، لا يحتاج إلى تقرير، ورغم ذلك أطلق عليه أنه دين؛ فالدين يشمل المنهج، الذي يخضع له الإنسان في حياته، سواء كان هذا المنهج سماويًا أو أرضيًا، وسواء كان من عند الله، أو من عند غير الله – سبحانه وتعالى –.

---

[16] سورة آل عمران، الآية: **19**.

[17] صحيح البخاري: (**3443**).

[18] سورة المائدة، الآية: **48**.

[19] سورة الكافرون، الآية: **1**.

[20] سورة الكافرون، الآية: **6**.

كذلك يقول تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ)[21] فأطلق الله – سبحانه وتعالى –، على هدي وطريقة فرعون وقومه دينًا؛ كذلك قال تعالى: (ومن وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[22] فسمى الله – سبحانه وتعالى – غير الإسلام دين، وكل ما سوى الإسلام فهو باطل، وليس لله دين سوى دين الإسلام.

كذلك في هذا المعنى، ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة، في روايتها لقصة هجرة النبي – عليه الصلاة والسلام –، من مكة للمدينة؛ ففي معرض حديثها عن الدليل، الذي خرج مع النبي – عليه الصلاة والسلام –، وصاحبه أبي بكر – رضي الله عنه –، وهو ابن وريقة؛ قالت: (وهو على دين قريش)، فأطلقت على ما كانت عليه قريش، من عبادة غير الله وعبادة الأوثان دين؛ والمراد ليس تلك العبادة فحسب، بل تلك الشرائع وتلك الأنظمة، التي كان يسير عليها كفار قريش قاطبة، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد، والأصنام والأوثان.

إذًا الدين هو الطريقة المتبعة، وهو نظام حياة الناس، وهو شريعتهم المتبعة؛ سواء كانت تلك الشريعة من عند الله، أو من عند غير الله – سبحانه وتعالى –، يقول الله تعالى في قصة يوسف: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِيدِينِ الْمَلِكِ)[23] فسمى الله – سبحانه وتعالى –، نظام حياة هذا الفرعون، وسمى شريعته، وسمى ما يتبعه في سائر مناحي الحياة، السياسية والاقتصادية والتعبدية، سمى جملة هذه الأمور دين؛ رغم أنها باطلة بطلانًا واضحًا، يقول سيد قطب – رحمه الله –، في المجلد السابع ص 2020، في معرض تفسيره لهذه الآية:

" هذا المدلول القرآني الواضح، هو الذي يغيب في جاهلية القرن العشرين، عن الناس جميعًا . سواء منهم من يدعون أنفسهم مسلمين، وغيرهم من الجاهلين! إنهم يقصرون مدلول "الدين"، على الاعتقاد والشعائر، ويعدون كل من يعتقد في وحدانية الله، وصدق رسوله، ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره; ويؤدي الشعائر المكتوبة، داخلا في "دين الله"، مهما تكن دينونته، بالطاعة والخضوع، وإقراره بالحاكمية لغير الله، من الأرباب المتفرقة في الأرض. بينما النص القرآني هنا، يحدد مدلول "دين الملك"، بأنه نظام الملك وشريعته؛ وكذلك "دين الله"، فهو نظامه وشريعته. إن مدلول "دين الله"، قد هزل وانكمش، حتى صار لا يعني في تصور الجماهير الجاهلية، إلا الاعتقاد والشعائر؛ ولكنه لم

---

[21] سورة غافر الآية 36.
[22] سورة آل عمران الآية 85.
[23] سورة يوسف، الآية:76.

يكن كذلك، يوم جاء هذا الدين، منذ آدم ونوح إلى محمد – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين –؛ لقد كان يعني دائمًا: الدينونة لله وحده، بالتزام ما شرعه، ورفض ما يشرعه غيره، وإفراده – سبحانه – بالألوهية في الأرض، مثل إفراده بالألوهية في السماء; وتقرير ربوبيته وحده للناس: أي حاكميته وشرعه، وسلطانه وأمره. وكان مفرق الطريق دائمًا، بين من هم في دين "الله"، ومن هم في "دين الملك"؛ أن الأولين يدينون، لنظام الله وشرعه وحده، وأن الآخرين يدينون، لنظام الملك وشرعه، أو يشركون، فيدينون لله في الاعتقاد والشعائر، ويدينون لغير الله في النظام والشرائع؛ وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، ومن بديهيات العقيدة الإسلامية تمامًا "اهـ.

وهذا المعنى، قرّره أيضًا المودودي، في الفصل الأول في كتابه، (المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم)؛ فمن تلك المصطلحات، التي أفردها وأشبعها بحثًا، مصطلح الدين، وكذلك مصطلح العبادة، والإله والرب.

القوانين الوضعية دين:–

وهذا المعنى الذي ذكره سيد قطب – رحمه الله –، يتمثل تمامًا على تلك القوانين الوضعية؛ فتلك القوانين الوضعية دين، بكل ما تشمله هذه الكلمة من معنى، دين أراده من وَضع تلك القوانين، أن يكون بديلًا عن الإسلام؛ ويشمل المعنى كل تلك النظريات، والمبادئ الإنسانية، فيشمل الاشتراكيّة والعلمانيّة والديموقراطيّة، ويشمل سائر تلك الألفاظ، والنظريات والمبادئ المخترعة، التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فكل تلك الأمور هي أديان، سواء رضي الناس، أو لم يرضوا بهذا المعنى.

والغريب أن، لجميع لتلك الأديان أنبياء وآلهة؛ فلينين إله، وماركس إله، وأنجلس إله؛ وذكرنا لكم، عندما كنا نتحدث عن الحداثيين، ماذا نقل القحطاني [24] عن الحداثيين، فقال أن أحد الأغرار عندنا، وصف صالح المقالح بأنه نبي الحداثيين؛ فهي بالفعل أديان قائمة، لها أنبياء ولها كتب ولها آلهة، وفوق ذلك يضيفون لتلك الأديان أنبياء، فيقولون فلان نبي وفلان نبي، ويضيفون لها آلهة، ويضيفون لها كتب؛ والقوم لا يَكُفُّون عن التصريح، وعن البوح بأنهم يريدون، أن تكون تلك المناهج البشرية دين، من دون دين الله، وأنهم يبتغون أن يدخلوا، الناس كافة في تلك الأديان.

---

[24] راجع كتاب (الاستهزاء بالدين وأهله) للشيخ محمد بن سعيد القحطاني كما ذكر الشيخ في الفصل الأول.

يقول الشيخ أحمد شاكر، في معرض بيانه لتلك الحقيقة، في عمدة التفسير، المجلد الثاني ص 213: "هذه القوانين التي فرضها على المسلمين، أعداء الإسلام السافروا العداوة؛ هي في حقيقتها دين آخر، جعلوه ديناً للمسلمين، بدلاً من دينهم النقي السامي؛ لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها، وغرسوا في قلوبهم حبها، وتقديسها والعصبية لها. حتى لقد تجري على الألسنة والأقلام، كثيرًا كلمات (تقديس القانون) (قدسية القضاء) (حرمة المحكمة)؛ وأمثال ذلك من الكلمات، التي يأبون أن توصف بها الشريعة الإسلامية، وآراء الفقهاء الإسلاميين."

فهو دين كامل له آلهة، وله أنبياء وله فقه، وله كتاب وله تفسير، وله تشريع وله مشرع، وله حرم وله حرمة، وله قداسة وله قدسية؛ وفي الحقيقة هؤلاء القوم، يريدون أن يقولوا لأهل الإسلام، لستم بأحسن حالٍ منا؛ هكذا بالفعل يريدون أن يقولون، بلسان الحال أو بلسان المقال، وبعضهم صرح بها، في ظل تأييد الأنظمة الحاكمة، التي تجبر الناس بالحديد والنار، على الالتزام بتلك القوانين الوضعية، وويلٌ ثم ويلٌ للمخالف، وليس له إلا العقوبة التي تنتظره؛ فهؤلاء القوم، يريدون أن يُصرّحُوا لأهل الإسلام، بأنكم لستم بأحسن حالٍ منا؛ لديكم فقه ولدينا فقه، لديكم فقهاء ولدينا فقهاء، لكم تشريع ولدينا تشريع، لديكم مشرّع ولدينا مشرّعون، لديكم حرم ولدينا حرم، لديكم حُرمة ولدينا حُرمة، لديكم قُدسية ولدينا قُدسية، لديكم قَدَاسة ولدينا قَدَاسة؛ وفي الجملة، هؤلاء القوم يصرِّحُون: يا أيها المسلمين، لكم دين ولنا دين.

ولا يتوقف الأمر عند حد المساواة، بل كثير منهم يصرّح أن دينهم، أفضل بكثير من الإسلام؛ فدين الإسلام عندهم، ليس إلا شرائع بالية، كما ذكرنا لكم، عندما كنا نتحدث عن تاريخ التشريع الوضعي، في المملكة السعودية، قول الكاتب د. محرود عبد المجيد المغربي: "كانت التشريعات في المملكة، في البداية تشريعات بسيطة"؛ فهم لا يقولون فحسب، لنا دين ولكم دين، بل ديننا يا أيها المسلمين، أحسن بكثير من دينكم، الذي ما جاء لنا، إلّا بالضلال والتخلف والرجعية! كبرت كلمةً تخرج من أفواههم.

فهذه القوانين الوضعية، يراد لها أن تحل محل دين الإسلام، وأن يَخضع لها الناس كافة؛ محادّةً ومعاندةً وتكذيبًا لدين الله، الذي ارتضاه لخلقه، والذي بعث به الأنبياء جميعًا.

يقول سيد قطب: "إن الذي يعنينا، هو تقرير حقيقة الدين، الذي فيه الناس اليوم.. أنه ليس دين الله قطعاً. فدين الله هو نظامه وشرعه، وفق النصوص القرآنية الصريحة. فمن كان في نظام الله وشرعه، فهو في «دين الله». ومن كان في نظام الملك وشرعه، فهو في «دين الملك». ولا جدال في هذا.." اهـ [25]

فقسمة الحكم ثنائية، وكذلك قسمة الاتباع ثنائية؛ إما اتباع لشرع الله، وإمّا اتباع لغيره؛ سواء شاركوه مع الله — سبحانه وتعالى — أو أخلصوه، فمن كان في نظام الله وشرعه، فهو في دين الله، ومن كان في نظام الملك وشرعه، فهو في دين الملك، واختر لنفسك؛ والمسألة ليست مسألة ادّعاء مُجرّد، فاختيارك يترتب عليه أمور، تنأى الجبال عن حملها، وحملها الإنسان؛ فهي قسمة ثنائية بوجهيها؛ في وجه الحكم والحاكم، وفي وجه الاتباع والطاعة.

إذًا دين الله وهو الإسلام، وهو الدين الذي جاءت به الأنبياء كافّة، وهذا الدين يتكون من ركنين؛ ركن الإثبات وركن النفي، تحقيق العبادة لله وحده، والكفر بكافة الطواغيت؛ وهناك أديان تُحاد وتُضاد وتُعادي دين الله، دين الإسلام، وتريد لنفسها أن تحل محل هذا الدين، وإن اختلفت الأسماء؛ تارة العلمانيّة وتارة القوميّة وتارة الحداثيّة، فكلها أديان لها كتب، ولها آلهة ولها أنبياء، ولها فقهاء ولها قُدْسّية، ولها حَرَم ولها حُرْمة؛ إلى آخر سائر هذه الأمور.

وعبادة الله — سبحانه وتعالى —، التي بدأنا الحديث بها، والتي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ هذه العبادة تعني توحيد الله — سبحانه وتعالى— وإفراده بالعبودية، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه، من حديث معاذ بن جبل — رضي الله عنه —؛ أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعثه، داعيًا لأهل اليمن للإسلام، فقال له: (**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**)[26]، فالعبادة هي تحقيق التوحيد.

وهذا — إن شاء الله —، سنتكلم عنه في الدرس القادم؛ عندما نتكلم عن منزلة الحكم بما أنزل الله، ومنزلة الحكم بغير ما أنزل الله، من التوحيد بأنواعه الثلاث؛ توحيد الربوبية، وتوحيد والألوهية، وتوحيد الأسماء الصفات.

---

[25] في ظلال القرآن ط دار الشروق (4–2021).

[26] صحيح البخاري: (1395)، وصحيح مسلم: (19).

الفهرس